



المسجد الإسلامي القديم في شرق الأردن

(الحلقة الأولى)

تصوير

مخلد النوافعة

قاسم الدروع

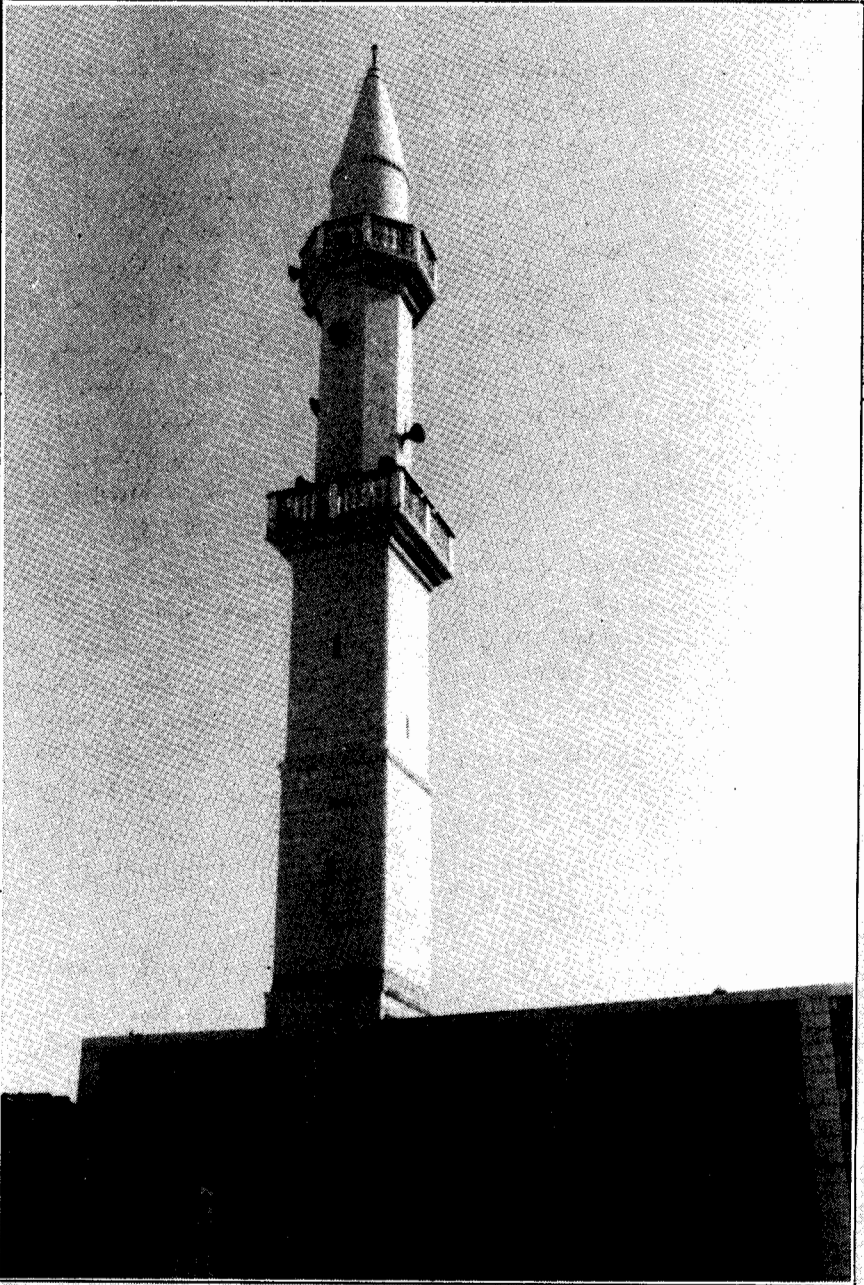
خالد المبارك

لقد قام المسجد بدور ريادي فاعل وهام في التاريخ العربي الإسلامي حيث كان من خلال منبره يتم الوعظ والإرشاد وبناء الإتجاهات والرأي العام عند عامة المسلمين فكان مركز إشعاع ومنطلق هداية لكافة أرجاء المعمورة، ولعل خير شاهد هو مسجد الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام الذي كان مركزاً للشورى والعلم، ومنطلقاً للتفكير والوعي، ونقطة تحول في تاريخ العرب منه تنطلق الجيوش الإسلامية بروح وثابة لإعلاء كلمة الدين الإسلامي، وفيه تُرسم سياسة الدولة.

وظل الاهتمام بالمساجد عبر التاريخ اهتماماً كبيراً لما كان من معرفة قوية بدورها الكبير في سيادة الحركة الفكرية، فكانت مراكز للتعليم إضافة إلى دورها الديني، فالمسجد الأقصى مثلاً مرّت عليه فترات كان فيها سيد الجامعات إذ تدرس فيه مختلف العلوم من طب وهندسة وفلسفة وتاريخ ولغة وعلوم التفسير والحديث، وكان يضم أساتذة وشيوخاً في العلم لا سيما في الفترة التي كثر فيها الاهتمام بالمساجد ودورها وهي فترة حكم الأيوبيين ومن تلاهم من المماليك والعثمانيين.

وقد ارتبط بناء القلاع - أو تجديدها - في فترة الأيوبيين والمماليك ببناء المساجد فيها فكما أن القلعة حصن، فالمسجد حصن آخر.

ويجدر بنا أن نطل على بعض هذه المساجد الإسلامية ونحاول وصفها بما توافر لدينا من مادة فلشرق الأردن نصيب كبير في احتواء مثل هذه المساجد منذ بداية العهد الراشدي مروراً بالعصور الإسلامية المتعددة وفي فترة الحكم العثماني.





المسجد ذو شكل شبه مستطيل وهو ثلاثة أقسام، وله ثلاثة مداخل، مبني من حجارة جيرية مربعة، لكنه الآن مهدم وبحاجة إلى ترميم^(٤). انظر الصورة رقم (٢)

مسجد قلعة الشوبك

يقع في الجزء الشمالي للقلعة وهو من أبرز معالم القلعة وضوحاً ولفناً للناظر يمتاز بشكله المستطيل والعقود العالية.

به بهو للصلاة من ثلاثة أروقة بينها دعائم منتظمة يفصل كل بهو عن الآخر دعامتان، رواق القبلة صغير إذا ما قورن مع الرواقين الآخرين.

للمسجد ثلاثة أبواب، وتصميم هذا المسجد شبيه بالطرز الأيوبية أي هو عائد إلى الفترة التي كانت فيها القلعة تحت حكم الأيوبيين، وقد أبقى المالك عليه فيما بعد.

موقع مئذنة المسجد غير واضح، وتوجد في جنوب المسجد مبان مدمرة في معظم أجزائها، وتوجد بقايا انبواب من الفخار في الجزء الغربي للمسجد (في الجزء الأعلى للجدار الغربي من المسجد).

كما يوجد في جنوب المسجد شارع ممتد حتى الزاوية الشرقية للبرج التاسع وعند نهاية الشارع توجد قائمة مدخلها الرئيسي من جهة الجنوب^(٥).

المسجد الزيداني

يعد المسجد الزيداني في قرية (تبنة)^(٦). أحد المساجد الكثيرة التي شيدها الزيدانية في القرن الثامن عشر في فلسطين والأردن وهو المسجد الزيداني الوحيد في منطقة الكورة بل في الأردن ما زال قائماً حتى الآن ويحتفظ

مسجد قلعة الكرك

بناه الملك العادل^(١). وهو يقع في الواجهة الشرقية من فناء المدرسة الموجودة هناك.

يتألف من غرفة واحدة ذات شكل مستطيل، وفي جدارها الشرقي فتحة للإنارة والتهوية، يحف بها تجويفان من الداخل، وقد يكونا لوضع مصابيح الإنارة.

هذا المسجد مغطى بقبو، وإلى جنوبه غرفة بها فتحة في السقف ومدخلها من فناء المدرسة، لا يوجد إشارات تاريخية تؤكد تاريخ بنائه بالضبط لكن يمكن ارجاعه إلى العهد الأيوبي المتميز بكثرة إنشاء المساجد والمدارس لتعزيز المذهب السني، إلى الملك العادل.

إن بناء المدرسة والسجن والمسجد والحمام والسور الشرقي، كلها يغلب عليها طابع البساطة والنقش، لكنها محكمة التخطيط والبناء ودقيقة النحت، وهذه ميزات العمارة الأيوبية، ومما يؤكد وجود المسجد في القلعة خلال العهد الأيوبي أن بيبرس عندما استولى عليها أدى صلاة الجمعة في مسجدها ودُعي له على المنبر^(٢). وقد كان في زمن المالك للقلعة جامع، وجامع آخر للمدينة^(٣).

مسجد قصر الحلابات

يقع عند قصر الحلابات على بعد أربعة عشر كيلوا متراً، وهو مسجد صغير لا يتسع لأكثر من ستين أو سبعين مصلياً، وهو من أهم المساجد الإسلامية وأقدمها، ويعود إلى العصر الأموي. يمتاز هذا المسجد بالمحراب المجوف، والقوس المقرنص، وقد عُرف المحراب المجوف في مسجد الرسول لأول مرة في زمن الخليفة عمر بن عبدالعزيز رضوان الله عليه.

في الجهتين (الشرقية والغربية) وبلغ طول قطره من الزاوية الشرقية الشمالية/الجنوبية الغربية (١٧,٢٠م) وتبلغ مساحته ١٥٥ متراً مربعاً ويختلف شكل البناء الداخلي عن الخارجي كذلك يختلف الارتفاع من جهة لأخرى نظراً لتغير مناسيب سطح الأرض حول المسجد كما يوجد للمسجد قبة في الزاوية الجنوبية الشرقية مدمرة حالياً، وتنتشر حول المسجد أبار المياه القديمة التي كانت تستخدم للشرب والاستعمال المصلين^(٨).

مسجد كفرنجة

يعود بناء مسجد كفرنجة إلى العهد العثماني وقد اتبع في بنائه أسس العمارة الأيوبية والمملوكية حيث أنه يشبه جامع عجلون الأثري من أوجه متعددة إذ نلاحظ فيه الأعمدة والسقف والمحراب والمدخل والشكل الخارجي كما نلاحظه في جامع عجلون إلا أن جامع كفرنجة له مدخل من جهة الشمال خلافاً لجامع عجلون الذي اقتصر أبوابه على الجهة الشرقية ولعله فعلاً جمع أسس العمارة العثمانية والأيوبية والمملوكية^(٩).

والزائر إلى مسجد كفرنجة يشاهد فوق المدخل الشرقي للمسجد لوحة تشير إلى تاريخ تجديد بناء هذا المسجد في عهد السلطان عبد الحميد الثاني ونظراً لعدم قدرتنا على تصوير اللوحة بشكل واضح يمكن اختصار المعلومات الواردة عليها على النحو التالي :

بسملة والآية القرآنية ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر﴾. وعبرة (هذا جامع الفاروق من جعل بإحيائه للطاعات باباً مشرعاً). وعبرة (قربة للرحمن

المسجد بهيكله العام رغم بعض الهدم الذي تعرض له بفعل التقلبات والأحوال الجوية على مدار السنوات الطويلة.

ويرى بعض الدارسين للآثار الزيدانية بأنه لا توجد فروق كثيرة بين مسجد تبنة والمسجد الذي أقامه ظاهر العمر ومسجد دير حنا الزيداني الذي أقامه سعد العمر شقيق ظاهر العمر ومسجد الدامون الذي بناه علي بن صالح الزيداني وهو أقدم مسجد بناه الزيدانة في الجليل^(٧).

تاريخ المسجد

تسميات كثيرة أطلقت على هذا المسجد تبعاً للفترات الزمنية المختلفة التي مرّ بها، والباحث أحمد شقيرات في كتابه المسجد الزيداني في تبنة يخلص في نتيجة بحثه عن المسجد في أن المسجد زيداني تاريخياً وفنياً ومعمارياً، وفي هذا الصدد يقول «ومن خلال دراستنا للأبنية الزيدانية في قرية (تبنة) وفي مراجعة الوثائق التاريخية التي تحدثت عن الأبنية يمكن تحديد تاريخ بناء هذا المسجد بحوالي سنة ١٧٧١ - ١٧٧٢ وينسب بناؤه إلى أحمد الظاهر الزيداني حاكم (تبنة) وأن الحجر الذي يحمل تاريخ بناء المسجد - كما هو معتاد في الأبنية الزيدانية - قد أزيل من مكانه في الواجهة الشمالية الخارجية من فوق الباب الوحيد بحوالي ٥٠ سم ولكن موقعه ما زال موجوداً.

وصف البناء :

ان مبنى المسجد قريب من الشكل المربع (١٢,٦٠ × ١٢,٥م) في الجهتين الخارجيتين (الشمالية والجنوبية) (١٢,٢٠ × ١٢,٥م)



الحجر الكلسي الأصفر المنحوت نحتاً ناعماً، وفي هذه الواجهة بابان متماثلان من حيث الشكل والمساحة، وعلى يسار كل باب يوجد شباك، وعند ملتقى الجدار مع الواجهة الجنوبية يوجد باب داخلي يؤدي إلى غرفة أخرى مماثلة تشبه غرف الواجهة الشرقية لكن سقوفها سقطت ولم ترمم^(١١).

مسجد قلعة الأزرق

بناه المماليك في ساحة القلعة الداخلية، وهو ذو شكل مستطيل ويتألف بناؤه من ثلاثة عشر مدماكاً عند الزاوية الجنوبية الشرقية، مدخل المسجد في الجدار الشرقي، وهذا المسجد بني من الحجارة البركانية السوداء مثل باقي حجارة القلعة، وفي منتصفه يقوم عامودان مستديران تحت مستوى أرضية المسجد، وقد ارتكز عقدان مدبيان على هذه العقود وارتكز عليها السقف، محراب المسجد يقوم في منتصف الجدار الجنوبي وعلى جانبي المحراب توجد نافذتان للتهوية وإنارة المسجد، وقد تكون لأغراض دفاعية^(١٢).

المسجد الجامع (عجلون)

يقع في منتصف المدينة على يسار الصاعد إلى قلعة عجلون وهو من أقدم المساجد الجامعية الباقية في الأردن، يشمل عناصر معمارية يرجع تاريخها إلى عصر الدولتين الأيوبية والمملوكية وهو بناء إسلامي يشمل بيتاً للصلاة وصحناً شكله مستطيل، ويعود بناء هذا المسجد العظيم إلى العهد الأيوبي والعهد المملوكي^(١٣). إذ ظهرت ملامح البناء الأيوبي والمملوكي عليه والطرز المعمارية المتبعة فيه هي طرز معمارية أيوبية ومملوكية حيث أمر ببنائه الملك الصالح نجم الدين أيوب

أُرُخ ما ازدهى به نبي الله في الفردوس لمن سعي بنينا - ١٢٢٠ هـ).

مسجد فحل

هو بناء أموي يقع في أول المسطح العلوي للمدينة القديمة في جنوب البلدة الحديثة.

يتكون من بيت للصلاة، وبقياء منارة في الزاوية الشمالية الشرقية من بيت الصلاة.

المسجد الآن مهديم تماماً لم يبق منه سوى بقايا جدران بيت الصلاة المرتفعة حوالي مترين عن سطح الأرض، وهذا البناء ذو شكل مستطيل يتكون من ثلاثة بلاطات ممتدة من الشمال إلى الجنوب بشكل عامودي على جدار القبلة ويقوم بيت الصلاة على ثمانية أعمدة لم يبق منها الآن إلا القواعد.

في الجدار الشمالي توجد ست نوافذ على يمين المدخل الرئيس ثلاث وعلى شماله ثلاث وفيه تقع البوابة الرئيسة، وفي المسجد منبر عند يمين المحراب لم يبق منه غير حجرين.

كان هذا المسجد يحتوي على قبة للمحراب وأرضية تعلوها البلاطات، وأروقته لم يبق منها غير امتداد للجدار الشرقي وبقياء الأساسات لمنارة المسجد الواقعة في الجهة الشمالية الشرقية لبيت الصلاة^(١٤).

مسجد قلعة العقبة

باب هذا المسجد وشبائكه مماثل لباب وشبائك إحدى غرف القلعة ومساحته ٧م × ٣٠م، سقفه من الاسمنت المسلح.

جدرانه مقصورة بالاسمنت، أما المحراب فهو أصلاً من ضمن جدار القبلة.

بعد المسجد توجد واجهة من الجدار الأصلي إذ بقي منها اثنا عشر مدماكاً من

سنة ٦٤٥ هـ : ١٢٤٧ م.

عندما يدخل المصلي إلى صحن الجامع يلاحظ أنه روعي في بنائه أن يتلاءم مع طبيعة المناخ فعملون واقعة في منطقة جبلية باردة.

بيت الصلاة مستطيل، والمحراب يتوسط جدار القبلة وهو محراب مجوف، وفي صحن الجامع توجد ثلاث غرف أمامها ساحة مكشوفة للفضاء.

للمسجد منئذة لها باب صغير مستطيل الشكل من جهة الغرب، يدور بالصومعة من الداخل درج ينتهي إلى شرفة بارزة عن بناء المنئذة^(١٤).

(عمان) المسجد الجامع

بناء أموي يقع في عمان في وسط الحي التجاري الحالي ويعد من أقدم المساجد الجامعة في الأردن وأجملها إذ شمل صحناً مستطيلاً وبيتاً للصلاة، ومنئذة، وهو مبني من الحجارة المرقوفة المشهورة وله ثلاثة أبواب.

كهف أهل الكهف

نسبة إلى الفتية الذين ذكرهم القرآن الكريم في سورة الكهف ولم يكن في وسعهم مواجهة مجتمعهم ففروا بدينهم والتجأوا إلى الكهف وبقوا فيه ٣٠٩ سنوات نائمين وحين نهضوا من رقدتهم أخذوا يتساءلون عن المدة التي قضوها، فأرسلوا أحدهم لشراء طعام لهم فاكتشف أمرهم وادركوا أن المجتمع تغير وأن الحكم الظالم قد انتهى، فاحتفى بهم الناس وأخذوا يتحدثون في أمرهم وأقاموا عليهم - بعد وفاتهم - مسجداً تخليداً لذكراهم^(١٥).

الإشكال دار حول مكان هذا الكهف هـام

حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً^(١٦). فقل في الكهف والرقيم أقاويل شتى :

يبعد الكهف عن عمان ثمانية كيلومترات من جنوبيها الشرقي، والآن لم يبق منه غير الجدران وقاعدة المنئذة^(١٧).

وقد قيل بأن الرقيم «اسم كليهم أو قريتهم أو اسم كتاب كتب في شأنهم أو اسم الجبل الذي فيه الكهف»^(١٨).

أما صاحبها تفسير الجلالين فيقولان : هو «اللوح المكتوب فيه أسماؤهم وأنسابهم»^(١٩).

وصاحب تقويم البلدان يقول بأن الرقيم بلدة صغيرة قرب البلقاء وبيوتها منحوتة من الصخر كأنها حجر^(٢٠).

وفي الظلال يقول : «الكهف هو الفجوة في الصخر والرقيم في الغالب هو الكتاب الذي يحمل أسماءهم وربما كان هو الذي وضع باب الكهف الذي عثر عليهم فيه»^(٢١).

وقيل أن الرقيم عند عمان وبها آثار قديمة ذكروا أنها مدينة دقيانوس وقيل هي مدينة الجبارين، ويقول صاحب الاشارات أن الكهف والرقيم في بلاد الروم عند ايسس قرب ابلستين وقيل هي مدينة دقيانوس، وبالمغرب موضع يقال له جنان الورد في بر الأندلس به الكهف والرقيم وبه قوم موتى لا يبلون. كما ذكر أهل الموضع أن طليطلة هي مدينة دقيانوس، ويرجح أنها عند الروم^(٢٢).

إن كل أدلى بدلوه في مجال الاجتهاد في وجود الكهف والرقيم، إلا أن بعض الباحثين أكدوا وجوده في منطقة الرقيم قرب عمان مستندين إلى أدلة الحفر والتنقيب وبعض الأدلة الأخرى^(٢٣).

وخلاصة ما توصلوا اليه انهما يقعان قرب



شعاعها على الفتية فينالهم الأذى، وبالمقابل لا يؤذيهم المسجد المغلق، (فهم في الوسط).
كما عثر على المسجد المذكور في السورة
الكريمة ﴿قال الذين غلبوا على أمرهم لننتخذن
عليهم مسجداً﴾^(٢٥).

وبعد أعمال الحفر والتنقيب ظهرت بقايا
مسجدين، كما أن الفترة التي ناموها وهي
٣٠٩ سنوات قمرية و ٣٠٠ سنة شمسية قد
أيدتها الاكتشافات الأثرية، والفجوة الوارد
ذكرها في السورة، وجدت داخل الكهف وتمتد
إلى أعلاه بوساطة نفق^(٢٦).

مسجد الكهف

هما مسجدان : المسجد الشرقي ولم يكن
يظهر في بدء أعمال الحفر والتنقيب شيء من

عمان، وقد كانت كلمتا الكهف والرقيم
معروفتين وتترددان على السنة القوم في
الجزيرة العربية، قال ابن أبي الصلت :

وليس بها إلا الرقيم مجاوراً
وصيدهم والقوم في الكهف هُجْدُ

كما اعترف بعض الزوار الأجانب بأن موقع
الكهف هو ما حدد قرب عمان، ومنهم
المستشرق كليرمونت غابو، وإيزيل ينشر
وغيرهما.

توجد أدلة دينية تدعم هذا الرأي : آية
الشروق المذكورة في السورة الكريمة والتي
تنطبق على هذا الموقع تماماً ﴿وترى الشمس
إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا
غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة
منه﴾^(٢٤). فالشمس تميل عن الكهف ولا يقع

كيلومتراً إلى الشمال من اربد. شكله مستطيل بطول ٣٠ م وعرضه ١١,٥ م وله محرابان ولا يظهر منه إلا الجدران، يعود إلى عصر المماليك^(٣٢).

مسجد ياجوز

على بعد خمسة عشر كيلو متراً من عمان وهو يقع في ياجوز، طوله ٢٢,٤٠ م وعرضه ٧,٣٠ م، ارتفاعه ٦ م، ويعود إلى عصر الفتوحات الإسلامية^(٣٣).

مسجد خان الزبيب

يبعد ثمانية كيلو مترات عن القطرانة غرباً، وهو خان ومسجد يعودان إلى العصر الأموي إلى فترة ما بعد سنة ٨٩ هـ، ولعل هذه المنطقة كانت تضم قصراً أموياً ومنشأة يعودان إلى عهد الخلفاء الأمويين^(٣٤).

مسجد جلعاد الأثري

يقع على بعد ثمانية عشر كيلو متراً شمالاً من السلط، شكله مربع، طول ضلعه ٦ م، محرابه مطموذ بالتراب^(٣٥).

مسجد ام الوليد

يبعد ٩,٥ كم عن زيزياء غرباً، وهو من فترة خان الزبيب، له محراب مجوّف، وله عقود يرتفع فوقها السقف^(٣٦).

مسجد سوف الأثري

يقع في قرية سوف قرب جرش، يعود إلى زمن الخليفة عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه^(٣٧).

حيطانه ولا محرابه ولا درج مثذنته، والمسجد الجنوبي وقد كان مغطى بالطعم والركام ولم يكن هناك ما يدل عليه^(٣٧).

وبعد إزالة الردم من فوق الكهف ظهر المسجدان، المسجد الجنوبي مبني من أحجار بيزنطية، كما وجدت كوة تمتد من أسفل الكهف إلى أعلاه وفوهتها في أرض المسجد الأول وعثر فوق الكهف على سبعة أعمدة رومانية يُعتقد أن المسجد أقيم عليها.

كما عُثر على بئر وأباريق فخارية للوضوء وعثر على انقراض المحراب والمثذنة في المسجدين. كما ظهرت إشارة من الكتابات إلى أن المسجد الثاني جددت عمارته في زمن خمارويه بن أحمد بن طولون في عهد الخليفة الموفق العباسي.

توجد عبارة على الحائط الشرقي لقوس الباب تقول بأنه يرجع إلى عصر هشام ابن عبد الملك بن مروان وأنه حدد سنة ١١٧ هـ^(٣٨).

بقي أن نقول أن المسجد الذي بني فوق الكهف^(٣٩) ليس منه إلا أساساته^(٣٩).

مسجد كفير أبو سربوط

يوجد في قرية كفير أبو سربوط من قرى مادبا، وهو عبارة عن بقايا جدران من حجارة كبيرة شكلها مربع مساحته ٤٠٠ م^٢ وحجارته أثرية مدقوقة، ذات شكل مربع، المسجد باب من الجهة الشمالية ويقوم بثلاثة مداميك ومحرابه يقع في حائطه الجنوبي، وهو يعود إلى زمن الفتوحات الإسلامية^(٣٩).

مسجد حبراص الأثري

يقع في قرية حبراص على بعد خمسة عشر